

المحبة والرياء

بقلم: شكري حبيبي

كان والدي الذي رحمه الله، يردد دائما: "إن أصعب شيء في الحياة، هو العلاقات بين البشر." وكل يوم يمر يجعلني فعلا أتأكد من صحة هذه المقولة. فترى فلانا من الناس يتضايق منك، لسبب أنت نفسك لا تعرف كنهه، ويتصرف تجاهك على هذا الأساس. وآخر يظن بك ظنونا لا أساس لها من الصحة، ويبني موقفه منك انطلاقاً من هذه الظنون الخاطئة. وتكون المصيبة أكبر عندما تفتاحه بالأمر، وتسأله بصراحة وبنية صادقة عما يزعجه، فإذا به يفاجئك - هذا إذا اراد الكلام - بإتهامات تسمعها لأول مرة في حياتك. أما إذا نفى الأمر، وادعى بعدم وجود شيء يزعجه منك، فإنه يحاول إتهامك بشكل غير مباشر بأن لديك ظنونا خاطئة من نحوه، وتصورات غير صحيحة، عليك أن تتخلص منها. وماذا نقول عن الناس الذين تعاملهم بمحبة متناهية، وتقدم لهم المساعدة، وإذا بك تفاجأ يوماً ما، أنهم انقلبوا ضدك وكالوا لك الإتهامات العديدة. وفي جميع الأحوال تبقى أنت في حيرة من أمرك، لا تدري كيف تعالج الوضع، وما هي الطريقة المناسبة لكي تنهي الإشكالات، وتعيد الأمور إلى سابق عهدها.

لكن ماذا تخبرنا كلمة الله في هذا المجال؟ لم نتحدث كلمة الله عن أهمية المحبة بيننا وبين الآخرين، لا سيما المؤمنين منهم فحسب، بل نبهتنا إلى أمر آخر يجب أن يرافق المحبة. كتب الرسول بولس قائلاً: "المحبة فلتكن بلا رياء." (الرسالة إلى رومية ١٢: ٩) أما الرسول بطرس فقد كتب قائلاً: "طهروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة." (رسالة الرسول بطرس الأولى ١: ٢٢)، وكتب الرسول بطرس أيضاً: "فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة." (١ بطرس ٢: ١). هناك إذن خطر كبير علينا كمؤمنين أن يسيطر الرياء على محبتنا. فتغدو محبتنا محبة شكلية، تكتفي بالمظاهر دون الجوهر. وتصبح في حقيقتها محبة أنانية، هدفها إرضاء الذات ومصالحنا الشخصية. ولهذا ليس غريباً أن يؤدي هذا النوع من المحبة إلى سوء الفهم والشك بالآخرين، وإساءة الظن بهم. وتكون النتيجة تدمير العلاقات بين الإخوة المؤمنين الذين هم جسد الرب الواحد، وأيضا في العائلة الواحدة.

ولنلاحظ أن الرسول بطرس في الشاهد الثاني له، الذي اقتبسناه قبل قليل، وضع الرياء جنباً إلى جنب مع الخبث والمكر والحسد وكل مذمة. وكأن كل هذه الصفات السلبية تترافق مع بعضها البعض، وكل واحدة منها تأتي بالأخرى. فالخبث لا بد أن يؤدي إلى

المكر. إن الخبث هو أن لا تكون صادقا مع الآخرين، وأن تخفي نواياك وأهدافك الحقيقية عنهم، وهذا بالطبع هو عين المكر. والمكر هو من يلجأ إلى أساليب ملتوية لكي يحقق غرضه.

والمكر بدوره لابد أن يجلب الرياء. فأنا لا أريد أن يرى الآخرون حقيقة نفسي، ولهذا أرائي في محبتي لهم، وأبدو لهم إنساناً محباً عطوفاً. وعندما أخفي مطامح نفسي عن الآخرين، لابد أن أحسدهم إذا نالوا شيئاً كنت أنا أرغب في الحصول عليه. أو إذا أحرزوا نجاحاً في أمر كنت أتوق وأسعى من أجله. وهذا كله بدوره لابد أن يؤدي إلى المذمة. أي الشكوى المستمرة من الأوضاع والأحوال، الشكوى من الإخوة والأهل والأصدقاء والجيران، لابل أحيانا الشكوى من الله نفسه. ولهذا قيل بحق إن المذمة إذا سيطرت على الإنسان، لحولت حياته وحياة الذين حوله إلى جحيم لا يطاق.

تذكرت الآن وأنا أكتب هذه المقالة، أبا مؤمنا كان يعمل معنا في الخدمة الإذاعية بمونتي كارلو. فكان كلما التقيناه يفيض وجهه بشراً، ويسلم علينا بحرارة، ويبادر إلى القول: إنه يوم رائع حقاً، أليس كذلك؟ الطقس جميل، الشمس مشرقة، العصافير تزغرد، الرب عظيم وعنايته بنا كبيرة، وهو يسدد كل احتياجاتنا. كان هذا الأخ صادقاً في كلامه، ولم نره يوماً إلا مبتسماً وفرحاً، وكان كلامه هذا مصدر تشجيع لنا. لكن في المقابل كم من مرة التقينا بأناس لا هم لهم سوى التذمر والشكوى، فكانوا مصدر إحباط وفشل بالنسبة لنا.

لعل السؤال الآن: كيف بنا نحب محبة صادقة بدون رياء؟ وكيف بنا نتجنب هذه الصفات السلبية التي تحدث عنها الرسول بطرس؟

لعل أول أمر يجب أن نفعله هو أن نكون صادقين مع أنفسنا، فإذا كان هناك رياء في محبتنا للآخرين، فعلينا أن نطلب من الله أن يساعدنا لكي تكون محبتنا حقاً من دون رياء. لقد طلب الرسول بطرس أن نظهر نفوسنا في طاعة الحق بالروح، لكي نستطيع أن نتحلى بالمحبة الأخوية العديمة الرياء. وهذا الأمر لن يحصل إلا بمساعدة الله بروحه القدوس الحال فينا.

وطلب منا الرسول بطرس ثانياً أن نطرح كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة. أي بكل بساطة علينا أن نقوم نحن بالمبادرة، ونحارب هذه الصفات السلبية في حياتنا. إن الأمر بحاجة إلى إرادتنا نحن، بمساعدة الروح القدس لكي نطرح عنا هذه الأمور.

أما بالنسبة لعلاقتنا مع الآخرين، فإن أفضل وسيلة لتصحيحها هي أن نكون صريحين مع أنفسنا أولاً ومع الآخرين ثانياً. إن عدم الصدق مع النفس والصراحة مع الآخرين، ومحاولة إخفاء الأمور كما لاحظنا هي الأساس في إثارة سوء الفهم، وتعكير العلاقات بيننا وبين الآخرين.

فلنطلب من الله إذن أن يساعدنا جميعاً حتى نتحلى بهذه المحبة عديمة الرياء. ولكي نطرح عنا كل ما هو سلبي وضار لحياتنا، ولعلاقتنا مع الآخرين.